منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

من روائع الأنبا غريغوريوس
(١٦)

مفهوم الإيمان في المسيحية

للمتنيح
الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

الكتاب : مفهوم الإيمان فى المسيحية.
المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعداد : الإكليريكى منير عطيه.
الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس - دير الأنبا رويس
بالعباسية مصر. ت ٦٨٢٤٩٦٢ - ٤٨٨٢٥٢٢
الغلاف : تصميم الفنان عادل لبيب
المطبعة : شركة الطباعة المصرية العبور ت ٦١٠٠٥٨٩
الجمع : شركة فاين ت: ٤٨٢٤١١٣
رقم الايداع بدار الكتب: ٢٠٠٤/١١٨٩١
حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

الفهرس صفحة

مفهوم الإيمان فى المسيحية ٥

الإيمان ٥

أنواع الإيمان ١٠

١ – الإيمان الساذج ١٠

٢ – الإيمان المتعقل ١٢

٣ – الإيمان الذى بلا فحص ١٧

٤ – الإيمان الخلاق ١٩

الإيمان فضيلة عظيمة ٢٣

عدم الإيمان رذيلة ٢٤

فعاليات الإيمان ٢٦

الإيمان والأعمال ٣٣

الخلاص بالإيمان مع الأعمال ٥٩

مفهوم الإيمان فى المسيحية

الفضائل وهى المزايا التى يجمل بالإنسان المسيحى أن يتحلى بها أمام الله والناس كثيرة،.. منها التواضع، والعدل، والحكمة، والشجاعة، والصبر، والإيثار والغيرية.. على أن الكتاب المقدس اختص ثلاثا من الفضائل بأن لها قيمة ثابتة، ووجودا دائما يمتد للحياة الأخرى بعد الموت هى: **الإيمان والرجاء، والمحبة**، ومع ذلك فاضل بين الثلاثة. ووصف المحبة بأنها أعظمها جميعا.

جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس قوله « والآن يبقى الإيمان والرجاء والمحبة. هذه الثلاثة، ولكن أعظمها هى المحبة » (١ . كورنتوس ١٣ : ١٣).

الإيمان

أما الإيمان فهو فضيلة من فضائل الدين الكبرى بل هو الدين نفسه فى مقابل العقل والعلم والفلسفة.

ومن هنا فللإيمان معنيان أو مفهومان أساسيان:

المفهوم الأول: الإيمان هو حقائق الدين وتعاليم الديانة:

تعاليم الإنجيل والكتاب المقدس، « توبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس ١: ١٥). جاء قول سفر أعمال الرسل أن الله «فتح للأمم باب الإيمان» (أعمال الرسل ١٤: ٢٧). فالإيمان هنا هو الدين المسيحى. وحقائقه: الإيمان بالله ووحدانيته والتثليث، والاعتقاد فى المسيح وربوبيته وألوهيته، وأنه الفادي ومخلص العالم (يوحنا ١٢: ٣٦)، وسائر التعاليم التى علم بها المسيح كما جاء في الإنجيل، الذى كرز به الرسل وتسلمتها عنهم الكنيسة المسيحية. وأما المقصود بالأمم فهو الشعوب الأخرى من غير اليهود، ممن اعتنقوا دين المسيح.

وبهذا المعنى جاء فى سفر الأعمال أيضا عن رجل ساحر يهودى عارض القديسين بولس وبرنابا فى كرازتهما ودعوتهما المسيحية، وحاول أن يعطل حاكم جزيرة قبرص عن الإيمان

بالمسيح «لكن عليما الساحر... قاومهما وحاول أن يصرف الوالى عن **الإيمان** » (أعمال ١٣ : ٨).

كذلك قال الرسول القديس بولس عن نفسه «جاهدت الجهاد الحسن... وحافظت على **الإيمان** (٢ . تيموثيئوس ٤ : ٧).

وبنفس هذا المعنى يستخدم فى الكنيسة المسيحية لقب «**حامى الإيمان** » الذى أطلق أول ما أطلق على القديس أثناسيوس الرسولى (٣٢٨- ٣٧٣)م، الذى دافع عن الاعتقاد المسيحى فى ألوهية السيد المسيح وأزليته، ووجوده مع الآب والروح القدس منذ الأزل ـ وصار لقب حامى الإيمان من بعد ذلك يطلق على بابا الأسكندرية عامة، تحديدا لمسئوليته فى الدفاع عن الدين المسيحى وعقائده الإيمانية.

ولهذا السبب يسمّى الرب يسوع بـ «**رئيس الإيمان ومكمله** » (العبرانين ١٢ : ٢) . أى « رأس الإيمان ومتممه » إذ هو الأساس الذى قام عليه كل بنيان الإيمان المسيحى وحقائقه.

كذلك معنى الإيمان لمن يقال عنهم أنهم «يرتدون عن الإيمان» (١ . تيموثيئوس ٤ : ١) أو «أنكر الإيمان» (١ . تيموثيئوس ٥ : ٨) أو «ضلوا عن الإيمان» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٠).

المفهوم الثانى: الإيمان هو التصديق القلبى والنفسى والشعورى والروحى والباطنى، بالله وبالحياة الآخرة، وبالتعاليم التى يعلم بها الدين:

التصديق القلبى والروحى بالعقائد الدينية **واليقين فى حقيقتها، وعدم الشك فى صدقها** فمن قال أنه يؤمن بالله (مرقس ١١ : ٢٢). وبالحياة الأخرى، فقد برهن بقوله هذا على أنه يعتقد بوجود الله وبالحياة الأخرى إعتقادا باطنيا جازما. ولا يشك فى حقيقة الله ووجوده، وفى قيامة الموتى وخلود الروح، وفى الحياة الأخرى بعد الموت. من ذلك قول القديس بولس الرسول «لأنى عالم بمن آمنت وواثق بأنه قدير على أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم»

(٢ . تيموثيئوس ١ : ١٢)، فهنا الإيمان هو التصديق القلبى الباطنى بالله (يوحنا ١٤ : ١) . والاعتماد عليه بيقين وثقة وإطمئنان، والإعتقاد الراسخ فى رحمته وعدله وصدق وعوده بالجزاء الأخروى.

ومن هنا جاء تعريف الإيمان فى الكتاب المقدس بأنه «**الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى**» (رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ١١ : ١) . فالإيمان تصديق باطنى ويقين نفسى بحقائق لا يدركها الإنسان بالحواس. ومن هنا **فالإيمان هو غير العيان**. (٢ . كورنثوس ٥ : ٧) فنحن نؤمن بالله وإن كنا لا نراه . ونؤمن بالروح وإن كنا لا نلمسها، ونؤمن بالحياة الأخرى وإن كنا لا نشاهدها بحواسنا الظاهرة.

وبهذا المعنى جاء عن القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة أنه كان «**رجلا ممتلئا من الإيمان**» (أعمال الرسل ٦ : ٥) . وكذلك القديس برنابا الرسول « لأنه كان رجلا صالحا،

وممتلئا من الروح القدس ومن الإيمان » (أعمال ١١ : ٢٤). وأمثالهما ممن يوصفون بأنهم « **أغنياء فى الإيمان** » (يعقوب ٢ : ٥)

أنواع الإيمان

والإيمان أنواع ومستويات: فهناك الإيمان الساذج، والإيمان المتعقل، والإيمان الذى بلا فحص، والإيمان الخلاق أو التوليدى.

١- الإيمان الساذج:

الإيمان الساذج هو الإيمان السطحى، وهو إيمان العوام، ويبنى على التصديق السريع. وصاحب هذا الإيمان لا يقوى على أن يصمد أمام الشكوك التى يثيرها أعداء الإيمان، فسريعا ما يعلن مثل هذا الإنسان عن إيمانه، وسريعا ما ينهار إيمانه أمام صعوبة لأنه لا عمق له... ومثل هذا الإيمان نلحظه فى العوام والجهال من الناس، يبنى فيهم على مقولة جميلة أو

قصة مؤثرة أو موقف قوى من بعض القيادات الروحية أو الدينية يذهلون له أو يبهرون به، فيسرعون إلى الإذعان بما يقال لهم من ذلك القائد أو الزعيم، وهم فى فورة الإنفعال بالموقف، فإذا بردت تلك الفورة العاطفية أو هدأت، واصطدم ذلك المؤمن بموقف صعب وتجربة أليمة لا يقوى إيمانه على الصمود أمامها إنهار إيمانه. وقد يتحول تحت شدة الصدمة إلى كفران أو إلى جحود، وربما إلى إنفعال مضاد، فيلعن الإيمان الأول ويتنكر له. يقول المسيح « متى جاء ابن الإنسان يا ترى فهل يجد إيمانا على الأرض؟ » (لوقا ١٨ : ٨)وأمثال المتلبسين بهذا النوع من الإيمان كثيرون ممن نراهم فى كل يوم، ممن يصيحون بالإيمان ويتشدقون بالشعارات، ولا يلبثون طويلا حتى تسمع منهم هم بذواتهم صيحات الاستنكار، والتجديف، حتى ليكاد من يسمعهم أن يشك فى عينيه أو أذنيه، ويتولاه الذهول والعجب مما يبدو أمامه محالا لا يقبله العقل ولا يسيغه الحّس. ولعل هذا النوع من الإيمان يجد تفسيره فيما أورده المسيح له المجد فى

مثل الزارع أو البذار، عن بعض البذور مما سقط على جانب الطريق فجاءت طيور السماء وأكلته، أو بعض البذور مما سقط على البقاع الصخرية حيث لا تتوافر له التربة لإنعدام الرطوبة، فسرعان ما نبت، إذ لم يكن له عمق فى الأرض، حتى إذا أشرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له جذور جفّ... وقد قال الرب يسوع المسيح عن هذا الفريق من الناس أنهم يسمعون كلمة الملكوت ولا يفهمونها، فيأتى الشيطان على الفور فيقتلع ما قد زرع فى قلوبهم، لئلا يؤمنوا فيخلصوا أو هم الذين يسمعون الكلمة وسرعان ما يقبلونها، ولكنهم إذ لا جذور متأصلة فى ذواتهم لا يثبتون إلا إلى حين، ثم إذا وقعت ضائقة أو اضطهاد بسبب الكلمة فسرعان ما يتزعزعون ويضعفون ، (متى ١٣: ٣-٢١) (مرقس ٤: ٣- ١٧)، (لوقا ٨: ٥- ١٣).

٢- الإيمان المتعقل:

وأما النوع الثانى من الإيمان، فهو **الإيمان المتعقل**، وهو أرقى وأعلى درجة من الإيمان الساذج ، لأنه يجئ بعد الشك

وبالتالى بعد الدرس والفحص والامتحان، فيكون إيمانا قائما على أساس ثابت راسخ، وقادرا على مواجهة الشكوك، لأنه جاء بعد مرحلة من الشك، وبالتالى فهو قائم على الاقتناع العقلى والقلبى بأدلة يرضى عنها العقل، ويستند إليها الإيمان... هذا الإيمان هو إيمان المفكرين والعلماء والفلاسفة، وهو إيمان قوى، لا يتزعزع. وقد قال فيه القديس أوغسطينوس مقولته المشهورة «**العقل يسبق الإيمان والإيمان يسبق العقل. وإنى أؤمن لكى أتعقل وأفهم**» . والمعنى أن الفيلسوف والمفكر يستخدم عقله قبل أن يسلمه العقل إلى الإيمان . فالإيمان يجئ بعد النظر العقلى، وبذلك يكون إيمانا قويا وراسخا وقائما على أدلة مقنعة للعقل والقلب. فهو يتأمل الكون بالعقل، وهذا التأمل العقلى يقوده إلى الإيمان بوجود خالق للكون، هو العلة الأولى للوجود... وبعد ذلك تأتى مرحلة ثانية بعد الإيمان، للعقل أيضا فيها عمل. ذلك أن الإيمان أو الدين يقدم للإنسان مسلمات دينية جاء بها الوحى ولم يأت بها العقل. ومع ذلك فالعقل يتلقفها من

يد الإيمان محاولا أن يتفهمها ويسيغها ويبرهن عليها، بأدلة عقلية... وبهذا تتحول الحقائق الإيمانية بعد أن يهضمها العقل إلى حقائق إنسانية مقبولة للعقل، ويمكن للعقل أن يدافع عنها، ويبرهن على صدقها وصحتها، وأنها لا تتعارض مع قوانين الفكر الضرورية وإن كانت مصادرها الأصلية سماوية وإلهية... وأخيرا كما يقول القديس أوغسطينوس «وإنى أؤمن لكى أتعقل وأفهم» والمعنى من ذلك أن الإيمان وإن جاء بعد التعقل. لكنه ضرورى للإنسان من أجل أن يفهم ما لا يستطيع أن يتوصل إليه من غير الإيمان. فالعقل الإنسانى قاصر ومحدود. وقد يتوصل إلى الإيمان بالله بتأمله فى الكون ونظامه وقوانينه، فيهتدى إلى أنه لابّد من وجود خالق للكون عاقل وبصير، كلى العلم وكلى القدرة، وكلى الحكمة، أزلى أبدى حاضر فى كل مكان... وهنا يتوقف العقل عن أن يعرف عن طبيعة الله، وحين يتوقف العقل يبدأ الإيمان عمله، آخذا بيد

العقل إلى ما بعد المشارف إلى شئ من المعرفة عن طبيعة الله، فيكلمنا عن صفات الله، وخاصياته الثلاث (وهو ما يعرف بالأقانيم الإلهية)، ويحدثنا عن الفداء والخلاص ومصير الروح بعد الموت والقيامة العامة وغيرها، من الحقائق الدينية التى لا يستطيع العقل أن يتوصل إليها من تلقاء ذاته ما لم يتلقنها من الإيمان أو النقل. أى من الوحى والكتب المقدسة. على أن للعقل بعد ذلك عملا آخر هو شرح ما يقدمه الإيمان وتفسيره وتقريبه إلى مستوى إدراك الإنسانى بالأمثلة الموضحة والبراهين العقلية، مما يفيد فى فهم ما كان عاليا على الإدراك الإنسان، فتصير بذلك الحقائق الدينية مفهومة ومساغة للعقل ومقبولة، بل تصبح مؤيدة ومسنودة بالأدلة والمقارنات، واضحة جلية للفكر ليس فيها ما يتعارض مع قوانين الفكر أو يتناقض مع النظر العقلى.

وبهذا يبدوء واضحا أن ما يقدمه الإيمان قد أساغه العقل وبرّره، وصار على إمتداد خط واحد فى طريق الفهم الكامل،

بمعنى أن ما يقدمه العقل قبل مرحلة الإيمان، وما يقدمه الإيمان فى المرحلة الثانية، يتقدم بالإنسان فى خط واحد ممتد إلى الأمام فى خدمة الإنسان لإكتمال فهمه للوجود.

هذه الحركة العقلية الإيمانية تشبه ما يحدث للتلميذ الذى يتقدم إلى المعرفة. فهو يبدأ بنوع من المعرفة التلقائية الطبيعية لما حوله، مما تقدمه له الحواس وما يمكن أن يستنبطه بعقله. ولكنه بالنسبة لبعض الحقائق يعجز عن التوصل إليها إلاّ من خلال المدرسة والمعلمين . وما يتلقاه من المدرسة والمعلمين يعمل فيه عقله ليسيغه ويفهمه ويهضمه ويستوعبه، حتى يستحيل إلى حصيلة عرفانية تزوده بإضافة جديدة إلى معرفته الأولية. على أن المعرفة الأولية مضافا إليها المعارف التى يتلقاها من المعلمين، هذه وتلك جميعا تتفاعل معاً وتندمج معا وتتحول إلى جماع من المعرفة، يستعين بهما معا على زيادة الفهم والمعرفة. فالمعرفتان الأولى والثانية تتضامنان معاً فى خط واحد لبلوغ درجة عالية فى المعرفة. هكذا العقل والإيمان،

أو العقل والنقل، يتعاونان ولا يتعارضان، يتزاملان ويتفاعلان، ولا يتعارضان ولا يتناقضان، وهما معاً فى خدمة الإنسان لزيادة المعرفة والفهم والإدراك، وتنوير البصر والبصيرة.

٣- الإيمان الذى بلا فحص:

وأما الإيمان الذى بلا فحص، فهو مرتبة أعلى من الإيمان، أسمى من الإيمان المتعقل، وبالتالى من الإيمان الساذج.. فيه يبلغ المؤمن إلى ثقة بالله ويقين بوجوده وبحكمته وصدق وعوده وقدرته، بحيث لا يعود يفتش عن دليل أو برهان، ولا يحتاج إلى من وما يقنعه ويرسخ إيمانه فى الله. لقد كان قبل ذلك فى حاجة إلى دليل ولعله مَّر بمرحلة الشك فترة ما، ثم تبدل شكه بيقين، وصار إيمانه قويا ومسنودا بأدلة وبراهين. ولكنه بعد أن بلغ هذا اليقين لا يفتش عن دليل جديد، فإذا صدر إليه أمر من الله صدع له مؤمنا فى يقين أن الخير فيما أمر الله به، ولسان حاله دائما وشعاره «المرّ الذى تختاره أنت لى يا الله خير من الحلو الذى أختاره أنا لنفسى» أو على حد تعبير القديس

أوغسطينوس فى صلاته: «مر بما تريد، وافعل ما تأمر به»

وهذا هو النوع من الإيمان الذى نطلبه فى القداس المرقسى أو الكيرلسى: « إيمانا بغير فحص » (عن الطلبة التى تتلى بعد حلول نعمة الروح القدس على المائدة الربانية).

وليس معنى « الإيمان بغير فحص » أنه إيمان أعمى، أو إنقياد بغير بصيرة أو وعى- ولكنه مرتبة من الإيمان تأتى بعد طول إختبار، وبعد مرات من الشك والفحص تنتهى بالاقتناع والتسليم ؛ نعلم أن الله يسخر كل شئ لخير الذين يحبونه. (رومية ٨: ٢٨).

وكمثال على هذا الإيمان الذى بلا فحص، إيمان إبراهيم رئيس الآباء الذى كان يعيش فى وسط عشيرته فيما بين النهرين. فتلقى أمرا من الله « اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك، فأجعلك أمة عظيمة » (التكوين ١٢: ١، ٢)، (أعمال الرسل ٧: ٢، ٣)، فما كان من إبراهيم إلاّ أنه أطاع أمر الله ولم يجادل فيه. ومما هو أوضح فى

الدلالة على التسليم المطلق والإذعان التام بغير تحفظ للأمر الإلهى الصادر إليه قول الكتاب المقدس « بالإيمان إبراهيم لما دعى أطاع أن يخرج إلى المكان .... **فخرج وهو لا يعرف إلى أين يتوجه** » (العبرانين ١١ : ٨).

٤- الإيمان الخلاق أو التوليدى:

أما الإيمان الخلاق أو التوليدى فهو أرقى أنواع الإيمان جميعا، وهو إمتداد للإيمان المتعقل. فالإيمان الذى بلا فحص، وهو تسليم مطلق لإرادة الله مع اسقاط تام لإرادة الإنسان بعد مسيرة طويلة فى حياة الشركة المقدسة مع الله، واختيار حكمته تعالى التى تعلو بما لا قياس على حكمة الإنسان وفهمه للتدبيرات الإلهية.

وكمثال على هذا النوع الممتاز من الإيمان الخلاّق إيمان أبى الآباء إبراهيم الذى أمره الرب قائلا: «خذ إبنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على

أحد الجبال الذى أريك » (التكوين ٢٢ : ١ ، ٢) . وعلى الرغم من أن الله سبق فوعد إبراهيم ولم يكن له آنئذ ولد قائلا: « بل سارة إمرأتك ستلد لك إبنا وتدعو اسمه اسحق، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده » (التكوين ١٧ : ١٩)، فإنه لم يتوان عن إطاعة الأمر الصادر إليه بأن يذبح هذا الإبن الذى وعده الله به ووعده بأنه « به تتبارك جميع قبائل الأرض » (التكوين ١٢ : ٣)، (١٨ : ١٨)، (٢٢ : ١٨)، - «فبكر إبراهيم صباحا وشدّ على حماره وأخذ معه إثنين من غلمانه، واسحق إبنه، وشقق حطبا لمحرقة، وقام ومضى إلى الموضع الذى قال له الله.. (التكوين ٢٢ : ٣) ثم « بنى إبراهيم هناك المذبح ونضدّ الحطب وأوثق اسحق ابنه، وألقاه على المذبح فوق الحطب، ثم مدّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح إبنه » (التكوين ٢٢ : ٩، ١٠) فكيف تم كل ذلك، ولم يعترض إبراهيم ولم يجادل، ولم يناقش وعد الله السابق إليه بأنه باسحق يدعى له نسل؟ والجواب على ذلك نجده فيما بعد، فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين:

«بالإيمان قدّم إبراهيم اسحق حين امتحن. ذاك الذى قد حصل على المواعد قرّب وحيده، وقد قيل له أنه باسحق يدعى لك نسل . واعتقد أن الله قادر أن يقيمه من بين الأموات »

(العبرانيين ١١ : ١٧ – ١٩) . والمعنى من ذلك أن إبراهيم عندما قدّم إبنه اسحق ذبيحة لم يكن عنده شك فى أن الله سيبر بوعده فى اسحق، وذلك لثقته التامة فى صدق ما وعد الله به، فإذا كان اسحق سيحرق حيا فإن الله لابدّ أن يقيمه من بين الأموات، مادام قد وعده بأنه باسحق يدعى لإبراهيم نسل. ومع أن عقيدة القيامة من الموت لم تكن قد عرفت بعد، ولا رأى إبراهيم أحدا من قبل قد قام من بين الأموات، إلاّ أن إيمانه المطلق بأن الله وعد، وأنه لابدّ أن يبر بوعده هو الذى جعله يعتقد أن اسحق بعد أن يحترق بالنار سيقيمه الله من بين الأموات. وهكذا كان إيمان إبراهيم بالله عظيماً، حتى أنه ولّد عنده الاعتقاد بالقيامة من الموت، وهو اعتقاد لم يكن معروفاً، لكنه تولد ونشأ من يقين

الإيمان (العبرانيين ١٠ : ٢٢) بالله، وطلاقة قدرته على كل شئ حتى لو كان يبدو للإنسان مستحيلاً أو محالاً.

* * *

هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة، « الإيمان المتعقل »، «الإيمان الذى بلا فحص »، والإيمان الخلاق والمولّد »، يوصف أصحابها بأنهم « **راسخون فى الإيمان**» (١ . بطرس ٥ : ٩) و«**ثابتون فى الإيمان**» (كولوسى ٢ : ٥)، (١ . تيموثيوس ٢ : ١٥)، « **أصحاء فى الإيمان**» (تيطس ١ : ١٣)، (٢ : ٢) وإيمانهم « **صادق وحقيقى ويقينى**» (١ . تيموثيوس ١ : ٢، ١٤)

لذلك يتطلب فيمن يرسم أسقفاً « **أن لايكون حديث الإيمان**»، (١ . تيموثيوس ٣ : ٦) أى لا يكون حديث العهد فى الإيمان « لئلا يتصلف فيسقط فى دينونة إبليس »، أى حتى لا تستولى عليه الكبرياء فيلقى العقاب الذى لقيه إبليس.

الإيمان فضيلة عظيمة

والإيمان فضيلة عظيمة، من حيث هو ثقة فى الله وفى قدرته ويقين فى صدق وعوده، ولذلك يحسب فعل الإيمان أمام الله عملاً صالحاً، ويحسب المؤمن بالله من حزب الله ومن أتباعه المنتمين إليه، فهم يسلكون فى مسيرة الحياة بالإيمان (٢ . كورنثوس ٥ : ٧)

قال الكتاب المقدس ، **آمن إبراهيم بالله فحسبه له برا** ودعى خليل الله ، (التكوين ١٥ : ٦)، (مزمور ١٠٥ : ٣١)، (روميه ٤ : ٣، ٥، ٢٢)، (غلاطية ٣ : ٦)، (يعقوب ٢ : ٢٣) .

كذلك طوبت أليصابات بالروح القدس الذى حل عليها القديسة مريم العذراء، ومدحتها لأنها آمنت وصدّقت بشارة الملاك لها بحبلها وحملها لكلمة الله على الرغم من بتوليتها، وأنها لم ولا ولن تعرف رجلاً، ولم تشك فى قلبها فى قدرة الله. قالت أليصابات لمريم العذراء ، **فطوبى لك يامن آمنت** بأنه سيتم ما قيل لك من قبل الرب ، (لوقا ١ : ٤٥) .

كذلك طوب المسيح له المجد من آمنوا به ولم يروه «**طوبى للذين لم يروا وآمنوا**» (يوحنا ٢٠ : ٢٩).

وقد سلك المسيح له المجد، الإيمان بين جوهريات الشريعة المسيحية الثلاث. قال: « جوهريات الشريعة هى العدل والرحمة والإيمان » (متى ٢٣ : ٢٣).

عدم الإيمان رذيلة

وبينما يحسب الله للمؤمن إيمانه براء، يحسب للإنسان عدم الإيمان أو نقص الإيمان رذيلة ونقيصة. قال الكتاب المقدس «**وبغير الإيمان لا يمكن إرضاؤه**. لأن الذى يتقرب إلى الله لابدّ له أن يؤمن بأنه كائن وأنه يكافئ الذين يبتغونه » (العبرانيين ١١ : ٦) بل إن الله توعد من لا يؤمن بالدينونة لاسيما إذا سنحت له فرصة للإيمان فأهملها، أو دعى إلى الإيمان فرفض الدعوة وتنكر لها.

قال المسيح له المجد « فمن آمن واعتمد خلص، **ومن لم يؤمن أدين** » (مرقس ١٦ : ١٦) وقال « فالذى يؤمن به لا يدان، **وأما الذى لا يؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن**

باسم ابن الله الوحيد... فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية، **ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله** ،(يوحنا ٣: ١٨، ٣٦).

انظر (روميه ١١ : ٢٠)، (العبرانيين ٣: ١٢، ١٩).

وفى مواضع متفرقة من الإنجيل يظهر أن الله **يغضب على غير المؤمن، ويوبخ غير المؤمن على عدم إيمانه.**

قال المسيح له المجد ، أيها الجيل غير المؤمن... **حتى متى احتملكم؟** ، (متى ١٧: ١٧)، (مرقس ٩: ١٩)، (لوقا ٩: ٤١). ولما قام من بين الأموات ظهر لتلاميذه ، **ووبخهم على عدم إيمانهم** وغلظة قلوبهم إذ لم يصدقوا الذين رأوه بعد أن قام ، (مرقس ١٦: ١٤) وقال لتلميذه توما ،**ولا تكن غير مؤمن** بل مؤمنا ، (يوحنا٢٠: ٢٧)

انظر(متى ٦: ٣٠)، (٨: ٢٦)، (١٤: ٣١)، (١٦: ٨)، (لوقا ١٨: ٨). (١. تسالونيكى ٣: ١٠).

ومن آيات عدم رضاء الله على غير المؤمنين **أنه يهملهم** (متى ١٣: ٥٨). (١٧: ٢٠)، (مرقس ٦: ٦).

فعاليات الإيمان

إذا كان الإيمان صادقاً وحقيقياً وقوياً وكاملاً، فإنه يصير قوة فعالة وخلاقة.

١- إن صاحب هذا الإيمان ينال أول ما ينال رضاء الله ومحبته:

بل ويصبح ذا دالة وأثيرا لدى الله، بل إن الله يكشف له ما لا يكشفه لغيره.

قال الكتاب المقدس عن إبراهيم أبى الآباء إنه لإيمانه العميق بالله قد دعى خليل الله ، آمن إبراهيم بالله فحسب له ذلك برا، ودعى **خليل الله** ، ؟ (يعقوب ٢: ٢٣) . ، وبعد أن جُرب بشدائد كثيرة صار **خليلا لله** ، (يهوديت ٨: ٢٢)، (٢ . أخبار الأيام ٢٠: ٧)، (إشعياء ٤١: ٨)، (دانيال ٣: ٣٥) وقال الكتاب المقدس أيضاً عن إبراهيم ، فقال الرب **هل أخفى عن إبراهيم ما أنا صانعه** ، (التكوين ١٨: ١٧).

٢- إن الإيمان يرقى بالمؤمنين فى علاقتهم بالله إلى مرتبة الأبناء:

قال الإنجيل « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا **أبناء الله أولئك هم المؤمنون باسمه**، الذين ولدوا، لا من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا » (يوحنا ١: ١٢، ١٣) فالذين يؤمنون يستحقون المعمودية فيدخلون بها إلى ملكوت الله على الأرض أى الكنيسة، ويصيرون من شعب الله، ومن رعويته وأبناء مملكته، وإذا ثبتوا على الإيمان العامل بالمحبة (غلاطية ٥: ٦)، (متى ٩: ٢)، (كولوسى ١: ٤)، (١. تسالونيكى ١: ٣) إلى التمام (يعقوب ٢: ١٨، ٢٠، ٢٢)، استحقوا الدخول إلى ملكوت الله فى السماء. قال المسيح له المجد « من آمن بى **وإن مات فسيحيا**. وكل من كان حيا وآمن بى **فلن يموت إلى الأبد** » (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦) وقال أيضاً « إن كل من يرى الإبن

ويؤمن به **تكون له الحياة الأبدية**، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، (يوحنا ٦: ٤٠)، لتؤمنوا بأن هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم **إن آمنتم الحياة الأبدية بأسمه**، (يوحنا ٢٠: ٣١).

٣- وبالتالى فإنه **بالإيمان يتبرر الإنسان** :

أى يصبح بارا أمام الله **فتغفر خطاياه**، الإنسان يتبرر بالإيمان، (رومية ٣: ٢٨)، (أعمال الرسل ١٣: ٣٩)، **ويتطهر قلبه من الإثم، طهر بالإيمان قلوبهم**، (أعمال ١٥: ٩). **كل من آمن به ينال باسمه غفران** الخطايا، (أعمال ١٠: ٤٣)، **فمن آمن به لا يخيب**، (رومية ٩: ٣٣)، (١٠: ١١)، (١. بطرس ٢: ٦)، **ويخلص**، (رومية ١٠: ٩).

٤- وبالايمان ينال الإنسان كل ما يطلبه من الله، وكل ما يرجوه:

قال المسيح له المجد « إن كل ما تطلبونه فى الصلاة آمنوا بأنكم ستنالونه **فيكون لكم** » (مرقس ١١ : ٢٤)، (متى ٢١ : ٢٢). وجاء فى رسالة القديس يعقوب الرسول « إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير، **فسيعطى له**. ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة » (يعقوب ١ : ٥، ٦).

٥- ثم إن للإيمان فعاليات فى نفس المؤمن:

فالايمان « **يشدّد** » الإنسان (أعمال ٣ : ١٦)، « **ويقويه**» (رومية ٤ : ٢٠)، أو به يسترد الإنسان قوته التى يبددها الشك والاحباط النفسى ، وبه « **يثبت** » أمام التجارب والمحن والآلام (رومية ١١ : ٢٠)، (٢ . كورنثوس ١ : ٢٤).

والإيمان «**يعزى** » الإنسان (رومية ١ : ١٢) فيصبر على النوائب وتسكن نفسه وتهدأ ويصير فى سلام وراحة قلب وإنشراح.

والإيمان « درع » للمؤمن (١ . تسالونيكى ٥ : ٨) « **وترس**، له به يحارب الشيطان عن نفسه، فيطفئ به جميع سهام الشرير المشتعلة والملتهبة نارا (أفسس ٦ : ١٦) .

٦ - وبالإيمان يصنع الإنسان المعجزات:

إن الإيمان ينقل الجبال: قال المسيح له المجد « الحق أقول لكم إنكم لو كان لديكم من الإيمان مثل حبة الخردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل. **ولا يكون شئ غير مستطاع لكم** » (متى ١٧ : ٢٠) « إذ الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر بدون أن يخامره الشك فى قلبه، بل يؤمن بأن ما يقوله سيكون، **فإنه يتم له ما يقول** » (مرقس ١١ : ٢٣)، (متى ٢١ : ٢١) « قال الرب لو كان لديكم من الإيمان مثل حبة الخردل، لقلتم لشجرة التوت هذه إنقلعى من جذورك وإنغرسى فى البحر **فتطيعكم** » (لوقا ١٧ : ٦) انظر أيضاً (١ . كورنثوس ١٣ : ٢) .

والمعروف أنه قد تم فعلاً بالإيمان نقل الجبل من موضعه كما حدث هذا بالنسبة إلى جبل المقطم فى أيام البابا إبرآم الثانى والستين من بطاركة الكرس الأسكندرى (٩٧٥- ٩٧٨) بناء على طلب الخليفة المعز الفاطمى (٩٣١- ٩٧٥) .

انظر أيضاً (يوحنا ٦: ٣٥)، (٧: ٣٨) .

٧ - بل إن الإيمان يجعل الإنسان المؤمن قادرا على أن يصنع كل ما يريد:

قال المسيح له المجد « وستتبع المؤمنين هذه الآيات فيطردون الشياطين باسمى، ويتكلمون لغات جديدة، ويقبضون على الأفاعى، وإن تجرعوا شيئاً قاتلاً فلن يؤذيهم، ويضعون أيديهم على المرضى، فيبرأون » (مرقس ١٦: ١٧، ١٨) انظر (أعمال الرسل ٥: ١٦)، (١٦: ١٨)، (١٩: ١٢)، (١٩: ٦)، (لوقا ١٠: ١٩)، (لوقا١٠: ١٧)، (أعمال ٣٨: ٣ - ٥)، (يعقوب ٥: ١٥) .

ويزيد المسيح الرب على ذلك بقوله « **فكل شئ مستطاع للمؤمن** » (مرقس ٩: ٢٣)، « **ولا يكون شئ غير مستطاع لكم** » (متى ١٧: ٢٠). انظر أيضاً. (يوحنا ١١: ٤٠)، (١٤: ١٢) (١. يوحنا ٥: ٤٠)، (٢. تسالونيكى ١: ١١).

الإيمان والأعمال (١)

(أ) يتساءل (الأخ صالح فهمى فرنسيس) قائلاً: إلى أى حد تستطيع أن تقول، إن صح ذلك، أن الأعمال ثمر الإيمان؟ وما معنى قوله «من آمن بالإبن فله الحياة ومن لم يؤمن فليست له الحياة»؟

(ب) ويبعث إلينا فى الوقت نفسه أحد الأخوة بهذه الإعتراضات: تقولون إن الإيمان والأعمال هى التى تدخلنا إلى السماء لا الإيمان فقط، كأن الإيمان له شريك، مع أن الكتاب يقول إنه بالإيمان فقط. وإننى أورد لكم بعض الآيات، وليس كلها لأنها كثيرة وكثيرة جداً التى تثبت لكم ذلك، وهى:

١- دخل اللص اليمين (السماء) بالإيمان: لم يعمل أى عمل صالح، بل بالعكس.

---

(١) نشر فى مجلة مدارس الأحد - السنة الخامسة - عدد ٤ - مايو ١٩٥١م.

٢- « هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به.. الخ »، كان يمكن أن يقال (من يؤمن ويعمل)..

٣- آمن ابراهيم بالله، فحسب له (إيمانه) براً..

٤- آمن بالرب يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك..

هذا قليل من كثير يثبت أنه بالإيمان وبالإيمان فقط ندخل ملكوت الله، وأيضاً توجد آية تثبت لنا أن الله لا يهمه شئ أكثر من الإيمان وهاك هى: «ألعل ابن الإنسان متى جاء يجد الإيمان على الأرض »؟.

أما عن السؤال الأول: فنجيب بأن الأعمال ثمر الإيمان، كما أنها دليل الإيمان: فمن الثمرة تعرف الشجرة (مت ١٢: ٣٣) «لأنه ليست شجرة جيدة تصنع ثمرة رديئة، ولا أيضاً شجرة رديئة تصنع ثمرة جيدة، لأن كل شجرة تعرف من ثمارها، فإنه لا يجنى من الشوك تين ولا يقطف من العليق عنب.. لماذا

تدعوننى يارب يارب، **ولا تعملون بما أقوله** ، كل من يأتى إلىّ ويسمع كلامى، **ويعمل به**، أعلمكم من يشبه. يشبه إنساناً بنى بيتا وحفر، وعمق، ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل، صدم النهر ذلك البيت، فلم يقو على أن يزعزعه لأنه كان مؤسسا على صخر، أما من يسمع **ولا يعمل**، فمثله كإنسان بنى بيتا على التراب بغير أساس، فصدمه النهر، فسقط لوقته، وكان سقوط ذلك البيت عظيماً، (لو ٦: ٤٤- ٤٩) (١)، (مت ٧: ١٦-٢٧). فإذا كانت ثمة إيمان فلابد أن يكون هناك ثمر صالح يطابق هذا الإيمان ويدل عليه، كما يقول القديس **يعقوب الرسول**: « وأنا أريك بأعمالى إيمانى » (يع ٢: ١٨).

وأظن أن مسألة طبيعية بحتة قبل أن تكون قضية لاهوتية تفتقر إلى البراهين النقلية فمن يؤمن بفكرة ما، لاشك يظهر

---

(١) راجع البشائر الأربعة ترجمة الكلية الإكليريكية.

إيمانه بها فى آرائه التى يبديها وأقواله التى يصرح به، وتصرفه العملى فى الخارج، وعلى قدر ما يكون الإيمان قويا بهذه الفكرة، على قدر ما يظهر أثرها على إتجاهه الفكرى ونظرته للحياة، وسلوكه العملى. وإذا قيل إن هناك من يؤمن بفكرة ولا يبديها: قلت، هذا افتعال وتصنع، يحتاج إلى مجهود غير عادى ليقاوم الإنسان طبيعتة. ويكتم حقيقة يؤمن بها فى نفسه. إذ هناك رابطة طبيعتة بين الجسم والروح، بموجبها يظهر على الإنسان كل ما يشعر به فى نفسه: يظهر فى فلتات لسانه وفى قسمات وجهه، ونظرات عيونه، وحركات جسمه، بما يسمى فى علم النفس بالدلالات التعبيرية، على أنه لم يوجد بعد هذا الإنسان الذى يمكنه أن يكتم مشاعره تمام الكتمان بحيث تُخفى على كل أحد ، وحتى لو أمكنه أن يكتمها وقتا ما، فلن يستطيع أن يظل على كتمانه وقتاً طويلاً.

فإذا كان الإيمان حقاً فى القلب، فلابد أن يؤثر على الفكر واللسان وسائر المظاهر السلوكية والعكس غير ليس صحيحا، فقد يتصنع الإنسان سلوكاً فى الظاهر على غير ما يؤمن، ولكن فضلاً عن أن هذا السلوك تنقصه حرارة الإيمان. فإنه أيضاً سلوك عابر ستعقبه حتماً أخطاء تبرهن لمن يتتبعها على نفاق ذلك الإنسان، وأنه يصدر فى تصرفه عن غير إيمان. إن من يؤمن ولا يعمل، أو يعمل بغير إيمان، كلاهما مراء منافق، يسلك على غير الطبيعة، وكلاهما غير مؤمن على الحقيقة.

أما الإيمان بالله وسائر القضايا الدينية، فهو نظير الإيمان بأية فكرة أخرى لابد أن يبدو فى سلوك المؤمنين، وإذا وجد من يدعى الإيمان، ولا يسلك بموجبه، فهو غير مؤمن حقيقى وهو يخطئ فى تصرفه (لأن كل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة)، ومع ذلك فنحن مضطرون إلى أن نفرق تفرقة ظاهرة بين من يؤمن ويعمل، وبين من يؤمن ولا يعمل، لأن كثيرين يؤمنون

بالمسيح ويتبعونه وينتسبون إليه بأسمائهم وألقابهم، ولكنهم يتصرفون فى حياتهم وسلوكهم تصرفاً لا يتفق وشريعة المسيح. أفهل يتمتع هؤلاء بحقوق المؤمنين الحقيقيين المجاهدين فى ميراث ملكوت السموات، أم يحرمون منها؟

هذا هو السؤال الذى يجب أن نقف بإزائه هنيهة لنستجلى الغوامض التى تحيط به.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فموقفها صريح بقدر ما هو بسيط واضح، إنه لا عبرة بإيمان لا تصاحبه أعمال صالحة، فإيمان بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وكجسد بلا روح، ووهم بلا حقيقة. وهى حقيقة طبيعية، يقتضيها العقل ويؤيدها الواقع، ثم هى تستند إلى نصوص من الوحى لا سبيل إلى إحصائها، بعضها من نصوص العهد القديم، وبعضها من نصوص العهد الجديد: من أقوال السيد المسيح فى الأناجيل، وأقوال الآباء الرسل فى جميع رسائلهم.

أما من العهد القديم فنكتفى بقول موسى النبى « انظر، قد علمتم فرائض وأحكاما كما أمرنى الرب إلهى، **لكى تعملوا هكذا فى الأرض**.. فاحفظوا **واعملوا**..» (تث ٤: ٦) وقال الله بفم النبى حزقيال «لم يسلكوا فى فرائضى، ولم يحفظوا أحكامى **ليعملوها**، التى إن **عملها** إنسان يحيا بها..» (حز٢٠: ٢١).

ومن أقوال السيد المسيح، نشير إلى ما أوردناه فى فاتحة إجابتنا على هذا السؤال، ونضيف قوله له المجد الذى يدحض كل اعتراض «ليس كل من يقول لى: يارب يارب، يدخل ملكوت السموات، بل الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات» (مت ٧: ٢١) ويكفينا من أقوال الرسل «ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم.. إن كان أحد (فيكم) يظن أنه دين، وهو ليس يلجم لسانه، بل يخدع قلبه...» (يع ١: ٢٢، ٢٦).

والحق أننى ما اكتفيت بهذه النصوص إلا أننى أشعر أن إيراد جميعها أمر لا يسمح به الوقت ولا تتسع له الصفحات، ثم لأن نصاً واحداً يكفى أن يقنع المخلص الذى يفتش عن الحق بطهارة القلب. ومن عجب أن نحاول نحن إثبات هذه القضية من الكتاب المقدس، لأنه بدونها يصبح الكتاب المقدس لغواً لا قيمة له، ويصبح عمل المسيح وجهاد الرسل وكفاح المبشرين والمعلمين بلا جدوى!!.

أما الكاثوليك، فقد غالوا فى النظر إلى أعمال البر الذاتية حتى جعلوا السماء وقفا عليها، وقد بهتت صورة الإيمان إزاء أعمال البر. ولاشك أن هذه مغالاة ضارة بالتعليم المسيحى، لأنه لو كان الخلاص بأعمال الإنسان دون استحقاق المسيح وصلبه لكان مجئ المسيح بلاسبب، ولأمكن أن يخلص جميع الأبرار الذين ماتوا فى العهد القديم، مع أننا نعلم أنهم ذهبوا جميعاً إلى الجحيم، وقد خلصهم المسيح منه بعد أن أتم الخلاص بالصليب، ومضى إلى الجحيم ونقلهم إلى الفردوس.

أما البروتستانت فقد غالوا أيضاً، ولكن من الجهة المضادة، فأنكروا كل علاقة بين الأهلية للسماء وبين الأعمال الصالحة واعتبروا هذه أمور نافلة لا قيمة لها: فلوثيروس مؤسس المذهب البروتستانتى يقول «إن الإيمان لا يبرر بل لا يكون إيمانا **ما لم يكن دون الأعمال بالكلية ولو زهيدة**» ويقول «ما أغنى الإنسان المسيحى، فإنه لا يستطيع، ولو أراد أن يفقد الخلاص بأية خطية كانت، إلا إذا لم يشأ أن يؤمن، فلا يستطيع شئ من الخطايا أن يهلكه إلا عدم الإيمان» (كتاب سبى بابل). ويقول أيضاً فى عظة له عن قوله تعالى (هكذا أحب الله العالم) :«وأما أنا لوثيروس فأقول لكم حيث أن الطريق الموصل إلى السماء ضيق وجب على من رام الدخول فيه أن يكون رقيقا نحيلاً. فإذا ما سرت فيه حاملاً أكياساً مملوءة أعمالاً صالحة، فعليك أن تلقيها عنك قبل دخولك فى هذا الطريق، وإلا امتنع عليك الدخول بالباب الضيق. هذا وإن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالزحالف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس

وأصحاب يعقوب الرسول، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبداً (من الباب الضيق) وقال أيضاً «إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك إنه يرفض أعمالنا، «وإنه لكى تظهر فينا قوة التبرير، يلزمنا أن نعظم أثامنا جداً وأن نكثر عددها» (مؤلفات لوثيروس طبعة ويتمبرج مجلد ١٨ ص ٣٩١) وقال أيضاً «كن أثيما واقترف خطايا كبيرة، ولكن آمن إيمانا قويا، ويكفينا أن نعرف حمل الله الرافع خطايا العالم، والخطيئة لا تبعدنا عن هذا ولو ارتكبنا الفحشاء أو القتل ألف مرة فى النهار، أتظنه شيئاً زهيد الثمن الفداء الذى قدمه هذا الحمل العظيم عن خطايانا» واسمع أيضاً ما يقوله لوثيروس «إن أسمى درجة الحكمة المسيحية هى ألا نعرف الشريعة، وأن نجهل الأعمال. إن الإيمان هو وحده الضرورى للتبرير، وكل ما سواه فلا عليه أمر ولا نهى، بل هو حرية الإنسان فإذ يقولون لنا إن الإيمان يبرر مع حفظ الوصايا(مت ١٩ : ١٧) أجيب أنهم بقولهم هذا ينكرون المسيح، ويجلون الشريعة. إنه وإن جمع لى

البـاباويون(١) آيات كـثـيـرة من الكتـاب المقـدس تـطلب فـيـهـا الأعمال الصالحة، فلا يهمنى ذلك، ولا أعبأ بكل كلمات الكتاب المقـدس هذه. فـيـا أيـهـا البـاباوى إنك تتـبـاهى وتنتـفخ بالكتـاب المقدس مع أن الكتـاب المقدس مـا هو إلا خادم السيد المسيح رب الكتـاب وسيده، ولهذا فإننى لا أتزعزع البتة. فاعتمد أنت أيها الباباوى على الكتاب الذى هو الخادم، وأما أنا فإننى أعتمد على المعلم الذى هو سيد الكتـاب، إننى لا أتنازل عن سطر واحد من التعليم الذى علمته فيما يخص الإيمان، ولو أن الكتاب المقدس كله كان ضدى، (مؤلفات لوثيروس) ـ شرحه على الإصحاح الثانى والثالث من رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية.

وقـد امـتـدت غلواء لوثيـروس إلى الحـد أنه تطاول على النصـوص فكان يضـيف إلـى الإيمان كلمـة (وحـده) فى قـول بولس الرسول، إن الإنسان يتبرر بالإيمان دون أعمال الناموس

---

(١) يقصد بالباباويين: الكاثوليك.

(رو ٢ : ٢٨) كما حذف رسالة يعقوب الرسول التى تتحدث عن وجوب الأعمال الصالحة وقال عنها إنها «كالقش»، وقد أحصيت تلاعبات وتغييرات لوثيروس فى ترجمة التوراة فكانت أكثر من ألف وأربعمائة تغيير وتحريف حتى أن زونكلينوس أحد أصدقاء لوثيروس، ومن زعماء الثورة البروتستانتية يقر بأن (توراة لوثيروس قد أفسدت كلام الله).

ولكن البروتستانت الآخرين أيدوا ما قاله لوثيروس فى الأعمال الصالحة. فميلانكتون يقول:«إن كنت سارقا أو زانيا أو فاسقاً، فلاتهتم لذلك، فقط لا تنس أن الله هو شيخ متزايد فى الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد» المواضع اللاهوتية طبعة اكسبرج سنة ١٨٢١ص ٩٢. ويقول اكريكولا من تلاميذ لوثيروس: «كن زانياً ولصاً وسارقاً..الخ وآمن، تخلص» (تاريخ الهرطقات ص ٤٤٩).

ولا تظن أن الجرأة على مخالفة منطق الديانة وروحها ونصوصها اقتصرت على هؤلاء الزعماء، بل انظر إلى ما جاء فى كتاب شرح أصول الإيمان للبروتستانت المتأخرين (س ـ هل التوبة شرط يوجب الغفران؟ ـ ج ـ كلا لأنه لو كانت شرطاً يوجب الغفران لكان التبرير بالأعمال) ص ٢٣١، وجاء فى كتاب المحاماة «إن الإيمان وحده بالمسيح يخولنا مغفرة الخطايا، لا المحبة ولا الأعمال الصالحة» (فصل ٤ ص ٢٦).

ونحن لا نريد أن نناقش هذه الأقوال، فهى واضحة البطلان، إنما أوردتها ليؤمن القارئ معى، إلى أى حد بلغت المغالاة فى أطراح الأعمال الصالحة عند البروتستانت حتى أصبح التبرير يقتضى أفعال الشر بدلاً من الأعمال الصالحة كما يقول لوثيروس.. ولقد اضطر بعض البروتستانت أن يتبرأ من هذا التعليم المضل، ويعلن سخطه عليه فقال جيورجيوس

«إن هذا التعليم هو عار وخزى من سنين عديدة لكنيسة المصلحين، ولا يوجد تعليم يسخر منه الباباويون، أو يتعقبونه بصرامة أكثر منه، وليس ذلك دون الصواب، فإنه ضلال ليس بخفيف، وغلط وخيم، وغواية فى الإيمان». وقال غس كروسيوس عند تفسير رسالة يعقوب الرسول: «قد تجدد فى هذا العصر التعيس ذلك الرأى الذى يلزم أن يخالفه كل من أحب التقوى وخلاص القريب، فإن الإيمان لا يفيد أحداً البتة خلواً من الأعمال»، وقال أورغانوس البروتستانتى الشهير «إنه لا يوجد عدو لكلام الله أكثر من هؤلاء الأنام الذين يبجلون التوراة كل التبجيل، فإنهم يبغضون أولئك الذين يظهرون لهم فى الكتاب المقدس ما يخالف تعليمهم كضرورة الأعمال الصالحة مثلاً لنيل الحياة الأبدية، كتاب الإصلاح وإمتداده - الجزء الأول - ليوحنا ويلدنادر المدعو أورغانوس.

* * *

والآن نعود بعد هذا الإيضاح لنتتبع منطق هذه البدعة فى أبعد حدوده. وكما أنه يمكن أن نبرهن على أمر بإثبات بطلان ضده، وهو ما يعرف فى الفلسفة ببرهان «الخلف» بمعنى أن نفرض صحة هذه البدعة ونتمشى مع منطقها إلى أن نصل إلى نتائج لا يمكن أن يقرها عاقل، فيثبت من هذا بطلانها، وبالتالى صحة القضية الأصلية.

هب أنه لا عبرة بالأعمال الصالحة، وأنه لا خلاص إلا بالإيمان وحده، أفلا يكون الوعظ والتعليم والتوبيخ وجميع وصايا الكتاب المقدس لغوا؟ ثم ألا يكون الله قد أرهق الأنبياء والرسل من غير داع لأنهم لم يدعو الناس إلى الإيمان بالله فقط بل قاوموا الشرور ويخوا المخطئين، ووقفوا فى وجوه الظالمين، ونهوا عن الفساد، ودعوا إلى الصلاح؟ ولم يكن ذلك بين غير المؤمنين بل بين المؤمنين على الخصوص سواء بالنسبة للأنبياء فى العهد القديم أو بالنسبة إلى الرسل فى العهد الجديد.

ثم إذا لم تكن هناك عبرة بالأعمال الصالحة أفلا يكون معنى هذا أن الله نفسه لا يعبأ بالشر بل يستوى لديه الخير والشر؟

ومن هذا الذى يجرؤ على أن ينسب ذلك إلى الله وهو يعلن غضبه على فجور الناس وآثامهم؟ أليس هذا إتهاماً لله بالرضى على الشر؟

وإذا كانت الأعمال الصالحة تافهة ولا تؤثر فى حالة وجودها أو عدمه على مصير الإنسان وخلاصه الأبدى، أفلا يعد كفرانا بعدالة الله أن يجزى البار كالأثيم (تك ١٨ :٢٦)، دون تفريق بين أعمال الناس؟!

وماذا يكون معنى قول النبى داود «لأنك أنت تجازى الإنسان كعمله» (مز ٦٢ :١٢) (راجع أيضاً أى ٣٤ :١١، أم ٢٤-١٢) وقول أرميا وحزقيال:

«عيناك مفتوحتان على كل طرق بنى آدم لتعطى كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله» (أر ٣٢ :١٩) (حز ٧ :٢٧)، (حز ٣٣ :٢٠). وماذا عن قول السيد المسيح «فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبه مع ملائكته، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله» (مت ١٦ :٢٧) (رو ٢ :٦)، وقول القديس بولس

الـرسول «ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه» (١ . كو ٣:٨) «لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد، بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً»، (٢ . كو ٥:١٠) (أف٦ : ٨)، (كو٣:٢٥)، (١ . بط ١:١٧)، وقول السيد المسيح فى سفر الرؤيا وها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى، لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (رؤيا ٢٢ :١٢) راجع أيضاً (أر ١٧ :١٠)، (رو١٤:١٢)،..الخ.

وعلى ذلك، فإما أن تكون هذه الأقوال باطلة وحاشا لله من ذلك، وإما أن تكون وعود الله غير صادقة، أو يناقض بعضها بعضاً، فإذا لم يكن شئ من ذلك صحيحاً وإذا كان منطق هذه البدعة يقود إلى إهانة الذات الإلهية، وإتهام العدالة الربانية، والحكمة الشرعية فلابد أن تكون بدعة مضلة شريرة، فيظهر من ذلك أن الأعمال الصالحة لابد منها للخلاص.

* * *

سنقول بعد ذلك، لكن اللص خلص بالإيمان: أقول أولاً- إن إيمان اللص هو فى ذاته عمل صالح لم يقو عليه اللص الآخر. ثم إن اللص اعترف بربوبية المسيح جهاراً أمام الملأ. ودافع عن السيد المسيح ووبخ اللص الآخر على جسارته، وهذه كلها أعمال صالحة، ثم أنه لم تتح للص الفرصة التى يمكن أن نعرف منها التغيير التام فى سلوكه والأعمال الصالحة التى يقوم بها. ولكن المسيح الإله العارف بخفايا القلوب قد رأى إستعداده لها فكافأه بالنعيم. ونحن لا نشك فى عدالة الله لأنه ليس عنده محاباة.

سنقول إن الكتاب يقول هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به، فتكون له الحياة الأبدية، وإن الكتاب أعطى حق الخلاص لمن يؤمن ولم يتكلم عن الأعمال الصالحة. أقول: يكفى أن يتكلم الكتاب فى هذا الموضوع عن الإيمان، فالإيمان هو الأساس. والأعمال بناء على الأساس. والإشارة إلى الإيمان تتضمن الأعمال كما يقول الرسول «لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة» (غل٥: ٦).

أما قول الكتاب «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون (رومية ٥: ١، ٢) (١).

فإن كلمة «الإيمان» ترد فى الكتاب المقدس بمعنيين:

المعنى الأول هو تصديق القلب بيقين، كما يقول الكتاب «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى (عبرانيين١١: ١).. الإيمان هو تصديق القلب، والتصديق عملية شخصية، فقد يصدق الإنسان أو لا يصدق، يؤمن أو لا يؤمن.

والمعنى الثانى: الإيمان هو الدين بصفة عامة فنقول بهذا المعنى أن القديس أثناسيوس حامى الإيمان، بمعنى أنه حامى عن حقائق الإيمان. فهنا كلمة الإيمان،

(١) نشر بمجلة الكرازة - السنة الثالثة - العدد السابع - سبتمبر ١٩٦٧م.

بمعنى أنه حامى عن **حقائق الإيمان. فهنا كلمة الإيمان بمعنى الحقائق الدينية نفسها**. ولذلك يمكن أن يعبر عن المسيحية كلها بالإيمان. يقول ماربولس الرسول: «كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب» (غلاطية ٣: ٢٤، ٢٥).

على ضوء هذا يمكن أن نفهم النص القائل «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله ربنا يسوع المسيح». هنا الإيمان لا بمعنى التصديق القلبى. ولكن بمعنى دخولنا فى المسيحية. لأن المسيحية. هى ديانتنا، وعن طريق هذه الحقائق الإيمانية وقبولنا لها وتنفيذنا إياها. صار لنا التبرير وصار لنا الخلاص والفداء.

لأن الإيمان كمجرد تصديق ليس هو الذى يخلص الإنسان، وليس هو الذى يعطى السلام أو يحل الإشكال، ولو كان الأمر كذلك لكان إبراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء جميعاً الذين وصفهم الرسول بولس بأنهم رجال إيمان (عبرانيين١١) قد خلصوا بهذا الإيمان وكانوا قد تبرروا بهذا الإيمان. لكن الإيمان

الذى تبرر به هؤلاء الناس هو دخولهم فى الإيمان المسيحى، وما يتطلبه الإيمان المسيحى (أو الدين المسيحى) من تصديق أولاً، ومن معمودية ثانياً، ومن وسائط الخلاص المختلفة فى الكنيسة.

وأما فى النصف الثانى من عبارة الرسول فيقول «به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان» فيستخدم الإيمان بمعناه الأول أى التصديق القلبى. **وهذا يؤكد أن الإيمان بمعنى التصديق القلبى هو الخطوة الأولى فى الحياة المسيحية الكاملة، وتتلوها خطوات أخرى كثيرة إلى أن وصلنا «إلى النعمة التى نحن فيها مقيمون».**

وأما قوله «دخول بالإيمان إلى هذه النعمة» فهنا كلمة النعمة، النعمة بالمعنى العادى، إذ أن وجودنا فى المسيحية هو نعمة «متبررين مجاناً بنعمته». طبعاً، لأنه إذا كان الخلاص بدم المسيح وقد نلناه نحن فى المعمودية، ولم ندفع نحن شيئاً للحصول على هذه النعمة، والمعمودية عمل الروح القدس، حقاً

«إننا تبررنا مجاناً بنعمته». فقوله «مجاناً» هنا معناه أن المسألة كلها من فضل الله وبركاته، وإننا لم نبذل شيئاً، إلا أننا آمنا واعتمدنا باسمه، والإيمان لم يكلفنا شيئاً ولا المعمودية تكلفنا شيئاً، إنما الله هو الذي دفع كل الأكلاف بتجسده وبموته.

أما عبارة الرسول «آمن بالرب يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك..» (١) هذه عبارة قالها الرسولان بولس وسيلا للرجل السجان، عندما قال لهما: يا سيدى ماذا أصنع لكى أخلص؟ فقال له بولس الرسول: آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. لما كان الرسول بولس يكلم رجلاً غير مؤمن، فلابد أن يكلمه عن أول شئ ينبغى له أن يفعله، وليس من المستساغ أن يرشده إلى كل الخطوات مرة واحدة، لذلك قال له آمن بالرب يسوع المسيح باعتبار أن الخطوة الأولى للخلاص هى الإيمان «وأما قوله «فتخلص» فليس معناه أن الإيمان هو

(١) نشر بمجلة الكرازة - السنة الثالثة - العدد الخامس والسادس - سبتمبر عام ١٩٦٧م.

الذى يحقق الخلاص، لأن عبارة «ستخلص» تشير إلى أن الخلاص أمر سيتم فى المستقبل، أى سيحصل عليه فيما بعد، بعد أن يتمم خطوات الخلاص.

والدليل على ذلك أن حافظ السجن بعد أن آمن بالرب يسوع، أخذ الرسولين بولس وسيلا إلى بيته وهناك حدثاه بحديث الإيمان، وبعد هذا يقول الكتاب فاعتمد هو والذين له أجمعون. **فلو أن الإيمان وحده كاف للخلاص لما كان هناك داع إلى المعمودية، ولكانت المعمودية أمراً زائداً لا قيمة له، أمراً ليس له فاعلية، وجوده أو عدمه سواء. فهذا الرجل السجان لم يخلص بالإيمان وإنما كان الإيمان بالمسيح هو أول خطوة لخلاصه. فالإيمان هو الذى جعل الرجل يتأهب للخلاص. لأن الخلاص لا يمكن أن يفرض على الإنسان فرضاً. كما قال القديس أوغسطينوس «إن الله الذى خلقك بدونك لا يقدر أن يخلصك بدونك».**

فلابد إذن من دور الانسان. والخلاص عمل مشترك بين الله والإنسان، الله له دور والانسان له دور فى هذا الخلاص. ليس الخلاص دور الله فقط والا فلا يكون الإنسان حراً. وهذا أمر لا يقبله الله لأنه إذا كان حتى الشفاء من المرض لا يسمح به السيد المسيح إلا بناء على طلب الإنسان توكيداً لحرية الإنسان، فمن باب أولى أن الله لا يمنح الخلاص إلا للذين يطلبون هذا الخلاص ويستحقون هذا الخلاص. لذلك فإن حافظ السجن لم يخلص بالإيمان، وإنما بعد الإيمان اعتمد هو والذين له أجمعون. وانى أرجو أن ننتبه إلى هذا ، إذا كان الرسول بولس وغيره من الرسل يشيرون إلى أهمية الإيمان، فهم يشيرون إلى الإيمان باعتباره خطوة أساسية أولية لا مفر منها، لكنها الخطوة الأولى للخلاص وليست الخطوة الأخيرة.

وينسج على هذا القياس قول الكتاب «من آمن بالابن فله الحياة ومن لم يؤمن بالابن فليست له الحياة».

فإن الرسول يبين هنا أهمية الإيمان بابن الله وأنه بدون هذا الإيمان لا يكون الخلاص، ولا تكون الحياة الأبدية. ولكن إثبات أهمية الإيمان للخلاص لا ينفى ولا يغنى عن أهمية الأعمال الصالحة، لاسيما وأنه بدون الأعمال الصالحة يصير إيماناً باطلاً تافهاً لا قوة له ولا ثمر!

وأخيراً إنى أدعوك أن تذكر أن الرسول بولس نفسه الذى يتهمه البروتستانت بإنكار قيمة الأعمال يقول «لأنه ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون» (رو ٢ : ١٣) «وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً»(١ . كو ١٣ : ١ – ٣) والرسول بطرس يقول «اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم وإختباركم ثابتين بالأعمال الصالحة (٢ بط ١ : ١٠) (١) . فإذا كان الرسول يقول أحياناً إن الناس لا يخلصون بأعمال الناموس،

---

(١)من محاولات البروتستانت لإبطال قيمة الأعمال الصالحة تطاولهم على هذه الآية وحذفهم منها كلمة(الأعمال الصالحة) ولكن وجودها فى الأصول والترجمات القديمة كشف سر هذه المحاولة.

فهو يتكلم عن الأعمال اليهودية قبل الإيمان بالمسيح لا الأعمال المسيحية بعد الإيمان بالمسيح.

ولسنا نجد خاتمة أفضل من أن نورد قول مار يعقوب الرسول «ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد أن له إيمان، ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟... الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته... أنت تؤمن أن اللّه واحد، والشياطين يؤمنون ويقشعرون... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا أيضاً الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ١٤- ٢٦).

فالإيمان والأعمال كلاهما لازم للخلاص».

الخلاص بالإيمان مع الأعمال

سؤال : من الابن المهندس نصرى جرجس نسر- شبرا

يقول: يحتل موضوع الإيمان والأعمال جزءاً كبيراً من الرسائل فى العهد الجديد، فهل تعنى كلمة الأعمال الناموس؟ أم أنّ هناك فرقاً بينهما، وإذا كان هناك فرق فما هو ؟

الجـــواب

أما الإيمان فهو الإيمان باللّه الواحد الأحد وأنه حاكم الكون والقادر على كل شئ، والموجود بذاته، والكائن فى كل زمان ومكان، ثمّ الإيمان بالحياة الأخرى، وبالجزاء الأخروى.

«الإيمان هو الثقة بأن ما نرجوه لابدّ أن يتحقق، والإيقان بأن ما لا نراه موجود حقاً» (العبرانيين ١١ : ١) . فاللّه غير منظور، ومع ذلك نؤمن بوجوده، كذلك نؤمن بالحياة بعد الموت، وأن هناك دينونة وأن عدالة اللّه تقتضى الثواب والعقاب، وأنّ كل إنسان سينال من الديان الجزاء العادل عن أعماله فى الحياة الحاضرة، وأن لنا بعد الموت حياة لا نهاية لها، حياة أبدية.

وأما الأعمال فهى ثمر الإيمان. وهى الأعمال الصالحة التى يمارسها المؤمن المتعبد فى علاقاته بالله، وهى الصلاة والصوم وما إليها من واجبات روحية وطقوس دينية.

ثم الأعمال الصالحة التى يمارسها الإنسان فى علاقاته مع الأغيار، من أسرته وغير أسرته من الناس الآخرين ممن يعايشهم، كباراً وصغاراً.

يقول الكتاب المقدس «إنّ الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وأن يصون الإنسان نفسه من دنس العالم» (رسالة القديس يعقوب ١ : ٢٧).

فالأعمال الصالحة هى **أولاً العبادات** والممارسات الروحية التى يمارسها الإنسان تعبداً لخالقه وشكراً وامتناناً، وهى الصلوات والأصوام وأعمال الرحمة، ومنها العشور والبكور والنذور وكل أنواع العطاء التى يمارسها الإنسان حباً فى الله وخير القريب.

كذلك الأعمال الصالحة هى كل عطاء مادى أو معنوى يعطيه الإنسان لغيره ممن هو فى حاجة إليه وهو ما يعبر عنه المسيح الديان فى قوله «كنت جائعاً فأطعمتمونى، كنت عطشاناً فسقيتمونى، كنت غريباً فآويتمونى، عرياناً فكسوتمونى، كنت مريضاً فعدتمونى، كنت سجيناً فأتيتم إلىّ» (متى ٢٥ : ٣٥، ٣٦) .

وكل من الإيمان والأعمال الصالحة مطلوب فى مسيرة الإنسان لإرضاء الله ولحياة الكمال.

جاء فى رسالة القديس يعقوب: «ماذا ينفع الإنسان، يا إخوتى، إذا قال إنّ له إيماناً ولكن ليس له أعمال (تثبت ذلك)، ألعلّ الإيمان بدون الأعمال يقدر أن يخلصه. إن كان أخ أو أختٌ عُريانين وليس لهما قوتُ يومهما فقال لهما أحدكم: «اذهبا بسلام واستدفئا واشبعا» ولكن لم تعطوهما شيئاً مما يحتاج إليه الجسد، فما المنفعة؟. هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال صار ميتاً فى حد ذاته. لكن قد يقول قائل: أنت لك إيمان، وأنا لى أعمال. فأرنى إيمانك من غير أعمال، وأنا أريك بأعمالى إيمانى. أنت

تؤمن بأنّ الله واحد، حسناً تفعل، وكذلك الشياطين تؤمن به وترتعد ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل (الأبله - الغبيّ) أن الإيمان بدون أعمال ميت. ألم يتبرّر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدّم إسحق إبنه على المذبح؟ فأنت ترى أنّ الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال اكتمل الإيمان (صار الإيمان كاملاً) . وهكذا تمّ قول الكتاب: «فآمن إبراهيم بالله فحسب له ذلك برآ ودعى «خليل اللّه» فترون، إذن، أنّ الإنسان يتبرّر بالأعمال، لا بإيمانه وحده ... فإنه كما أنّ الجسد بلا روح ميّت، فكذلك الإيمان بغير الأعمال ميت» (رسالة يعقوب ٢ : ١٤– ٢٦)

ويقول المسيح له المجد «فمثلُ من سَمِعَ أقوالي هذه وعملِ بها كمثل رجلٍ حكيم بنى بيته على الصخر، ثمّ هطل المطر وجرت الأنهار وهبّت الرّياح ولطمت ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كانَ مؤسّساً على الصّخر. ومثلُ من سمع أقوالي هذه ولم يعمل بها كمثل رجل غبيّ بني بيته على الرّمل، ثمّ هطل المطر وجرت الأنهار وهبّت الرياح ولطمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيماً» (متى ٧ : ٢٤– ٢٧)

وجاء فى رسالة القديس يعقوب «كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط، فتخدعوا أنفسكم. فإنّ مَن يسمعُ الكلمة ولا يعملُ بها يشبه إمرءاً (رجلاً) ناظراً وجه خِلقَتِه فى مرآة. فإنّه نظر ذاته ومضى، فنسى لساعتِهِ كيفَ كان. وأما الذى ينظرُ بالتدقيق فى القانون الكامل، قانون الحرية، ويواظب على ذلك، لا سامعاً ناسيا بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكونُ مغبوطاً فى عمله. من ظَنّ أنه دينٌ وهو لا يُلجِمُ لِسانَهُ بل يَخدَعُ قَلبَهُ، فذلك ديانتُه باطِلَة» (رسالة يعقوب ١ : ٢٢– ٢٦).

وقوله: «من كانَ مِنكم حكيما علَيماً فليُبْدِ أعمالَهُ بتصرُّفِهِ الحسن فى وداعةِ الحكمةِ» (يعقوب ٣ : ١٣).